

‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature

ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)
<https://easpublisher.com/journal/yandoto/home>



أسلوب التمني في أحاديث صحيح مسلم

إعداد

الدكتور علي محمد الثاني جنغبيبي

ملخص البحث:

المقالة بعنوان "أسلوب التمني في أحاديث صحيح مسلم" محاولة لإبراز جزء من الأساليب الإنشائية التي لها خصوصية في كلام صاحب البيان محمد ﷺ من خلال أحاديثه الواردة في كتاب صحيح مسلم إذ إن قيمة الدراسة البلاغية لا تظهر قيمتها واضحة إلا من خلال التطبيق على نصوص أحاديثه ﷺ. والمقالة تثبت مكانة الحديث النبوي من بين شواهد البلاغة العربية، بمتابعة ماورد منها في صحيح مسلم، ومن ذلك معرفة حقيقة هذه الأساليب والتعرف على دلالتها وأغراضها وإظهار بلاغة النبوي في استعمال أسوب التمني، وقد يلمح وضع ضوابط بلاغية مستندة إلى الذوق والحس وتوجيه وتحليل هذه الأسلوب واستنتاجنا أن الأسلوب النبوي يمثل ذروة البيان بعد كتاب الله تعالى.

ABSTARCT:

The article titled "Uslubu al tamanni fi ahadith sahih muslim" is an attempt to highlight a part of the construction methods that have a specificity in the words of the statement of the prophet Muhammad, (may God's prayers and peace be upon him), through his hadiths in Sahih Muslim's book, also indicate the value of rhetorical study cannot be showed its value clearly except through application of the texts of his conversations. The article proves the status of the Prophet's hadith among the evidence of Arabic rhetoric, by following what is mentioned in Sahih Muslim, and that includes knowing the truth of these methods, recognizing their significance and purposes, and showing the rhetoric of the Prophet in using the method of *Uslubu al tamanni*. That the prophetic style represents the climax of the statement after the Book of God Almighty.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم، القائل في محكم تنزيله "لا تياسوا من روح الله... " والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سلك منهجه إلى يوم الجزاء.

وهذه المقالة بعنوان "أسلوب التمني في أحاديث صحيح مسلم" محاولة لإبراز جزء من الأساليب الإنشائية التي لها خصوصية في كلام صاحب البيان محمد ﷺ من خلال أحاديثه الواردة في كتاب صحيح مسلم إذ إن قيمة الدراسة البلاغية لا تظهر قيمتها واضحة إلا من المقالة بعنوان "أسلوب التمني في أحاديث صحيح مسلم" محاولة لإبراز جزء من الأساليب الإنشائية التي لها خصوصية في كلام صاحب البيان محمد ﷺ من خلال أحاديثه الواردة في كتاب صحيح مسلم إذ إن قيمة الدراسة البلاغية لا تظهر قيمتها واضحة إلا من خلال التطبيق على نصوص أحاديثه ﷺ. والمقالة تثبت مكانة الحديث النبوي من بين شواهد البلاغة

العربية، بمتابعة ماورد منها في صحيح مسلم، ومن ذلك معرفة حقيقة هذه الأساليب والتعرف على دلالتها وأغراضها وإظهار بلاغة النبوى في استعمال أسوب التمني، وقد يلمح وضع ضوابط بلاغية مستندة إلى الذوق والحس وتوجيه وتحليل هذه الأسلوب واستنتاج أن الأسلوب النبوى يمثل ذروة البيان بعد كتاب الله تعالى.

خلال التطبيق على نصوص أحاديثه ﷺ.

مفهوم التمني في اللغة وفي الاصطلاح:

التمني - مصدر (تمنى - يتمنى) يقال تمنى الشيء إذا قدره وأحبه أن يصير إليه⁽¹⁾ هو طلب حصول الشيء المحبوب دون أن يكون لك ترقيب في حصوله، ذلك لأن الشيء الذي تحبه ان كان قريب الحصول مترقب الوقوع كان ترجيا، ولا يسمى تمنيا، والترجي ليس من أقسام الإنشاء الذي ليس طلبيا، وإنما لم يعدوا الترجي من الإنشاء الطلبي مع أنهم جعلوا التمني منه. لأن التمني طلب الشيء لا يمكن الحصول عليه، ولكن الترجي ترقيب حصول الشيء.

وقد عرف سعد الدين التفتازاني التمني: وقال: التمني، هو طلب حصول الشيء على سبيل المحبة⁽²⁾ وعرفه ابن يعقوب المغربي بقوله: هو طلب حصول الشيء بشرط المحبة ونفي الطماعية في ذلك الشيء فخرج مالا يشترط فيه المحبة كالأمر والنهي والنداء والرجاء بناء على أنه طلب، وأما نفي الطماعية فلتحقيق إخراج نوع الرجاء الذي فيه الإرادة، وإخراج غيره مما فيه الطماعية⁽³⁾.

وفي الاصطلاح: هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة⁽⁴⁾ وقد عرفه كثير من البلاغيين المعاصرين أنه طلب الشيء المحبوب الذي لا يطمع فيه لاستحالة الحصول عليه أو بعد مناله⁽⁵⁾ وقال الكسائي: "أما النوع الأول من الطلب: التمني. أو ترى كيف تقول: ليت زيدا جاءني فتطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعا فيه مع حكم العقل بامتناعه: أو كيف تقول: ليت الشباب يعود. فتطلب عود الشباب مع جزمك بأنه لا يعود. أو كيف تقول ليت زيدا يأتيني أولئك فتطلب إتيان زيد وحديث صاحبك في حال لا تتوقعهما ولا لك طماعية في وقوعها إذ لو توقعت لاستعملت لعل أو عسى⁽⁶⁾ فالمفعول إذا في الطلب الحاصل في أسلوب التمني أن يقتصر بشرطين هما المحبة في حصول الشيء. ونفي الطماعية فيه⁽⁷⁾ ويلجأ المتكلم إلى أسلوب التمني للتعبير عن مشاعرها الدفينة ورغائبها المطموحة ورغائب النفوس ومشتياتها ليست مقيدة بحدود الإمكان وفرق بين الآمال التي يراد تحقيقها واتخاذ الوسائل إليها وهي بالطبع خاضعة للتفكير والإمكان. وبين أشواق الروح التي لا يحدها حدود⁽⁸⁾.

هذا والحرف الذي يتمنى به العرب في كلامهم هو (ليت) وقد تسرب حروف أخرى إلى معناها فتأخذ حكمه يقول السكاكي "اعلم أن الكلمة الموضوع للتمنى هي ليت وحدها وأما لو وهل فالوجه فيهما ما سبق⁽³⁾.

التمني - إذن - هو طلب الشيء المحبوب، وقد يكون ممكنا، وقد يكون مستحيلا، فالنفس كثيرا ما تطلب المستحيل، فإذا كان الشيء المتمنى ممكنا، فيجب أن لا يكون مما تتوقعه نفسك لأنك إذا توقعت كان ترجيا، فإذا قلت: ليت لى دارا، فينبغي أن لا يكون متوقعا لما تتمنى لقله ذات اليد، وكثرة التكاليف وغيرهما من أسباب، وهذا أمر ممكن غير مستحيل. لكن صعوبة تحققه تجعلك غير متوقع له.

أدوات التمني:

والأداة الأم التي وضعت للتمنى (ليت) وقد قال تعالى: (يالييت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين)⁽⁹⁾ "وفي الحديث يقول ورقة بن نوفل: "يالييتني فيها جزعا إذ يخرجك قومك"⁽¹⁰⁾ وهناك أدوات أخرى للتمنى خرجوا بها عن أصل وضعها، وهذه الأدوات هي: لعل (و) هل (و) لو (ومن الأخيرتين ركبت هذه الكلمات): هلا (و) لولا (و) لوما. (عند بعض. أما هل) فهي في أصلها أداة الاستفهام. و أما لو) فهي حرف امتناع لامتناع.

وأما (لعل) فهي للترجي. وقد استعمل البلغاء هذه الأحرف مكان (ليت) وهذا الاستعمال لا بد له من غرض بلاغي، ونكتة بيانية.

ف (هل) تستعمل للتمنى، إذا أردنا أن نبرز المتمنى في صورة الممكن الذي لانجزم بانتفائه وذلك لكمال العناية به كقوله تعالى: فهل لنا من شعاء فيشفعوا لنا⁽¹¹⁾.

وإنما كان المتمنى ب(هل) بصورة الممكن، لأن (هل) أداة إستفهام، والمستفهم عنه أمر ممكن الوقوع.

(لو) ومن أدوات التمني (لو) وتأتي بها حينما يكون المتمنى عزيزاً، صعب الوقوع بعيد المنال، قال تعالى: فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين⁽¹²⁾

والحقوا ب(هل) و (لو): (لا) و (ما) فقالوا (هلا) و (لولا)، و (لوما يقصدون بها التمني. فمثال (هلا) قول عنتر بن شداد.

هلا سألت الخيل يابنة مالك – إن كنت جاهلة بمالم تعلمي⁽¹³⁾

ومثال (لولا) قوله تعالى:

"فلولا كانت قرية ءامننت ففجعها إيمانها"⁽¹⁴⁾

ومثال (لوما) قوله تعالى:

"لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين"⁽¹⁵⁾

ومن أدوات التمني التي خرجت عن الأصل (لعل): فإن أصل وضعها للترجي والغرض من استعمالها للتمنى دلالة على استحالة الأمر المتمنى بها كقوله تبارك وتعالى: وقال فرعون ياأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي ياهايمان على الطين فاجعل لي صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى⁽¹⁶⁾

ومن الأمثلة قول العباس بن الأحنف

أسرب القطا هل من يعير جناحه – لعلى إلى من قد هويت أطيير⁽¹⁷⁾

وإنما كان التمني ب (لعل) أمر مستحيلاً لأن (لعل) وضعت في أصل الوضع للترجي، وهو ترقب حصول الأمر، ولو كان المتمنى بها أمراً ممكناً لالتبس الأمر وفهم منها الترجي، لذا لا يتمنى بها إلا في الأمر المستحيل، وهذه نكتة بيانية دقيقة، تدل على دقة الوضع في العربية.

أسلوب التمني في أحاديث صحيح مسلم

منشأ التشويق في التمني – أما وجه التشويق في التمني فله عنصران يتعلق أحدهما بالجانب المعنوي. فعنصر التشويق في أسلوب التمني هو أن له كلمة محددة وهي (ليت) فمتى قرعت هذه الكلمة الأذان تلهفت نفوس المتلقين إلى سماع بقية الجملة التي تجلى حقيقة الشيء الذي يتمناه المتكلم فيحدث بهذا استشراف وتطلع، وفي المقابل فإن معنى التمني يحمل على التأثر والعطف على المتكلم إذ أن طبيعة المعنى في باب التمني مما يجعله من أساليب في الواقع والتأثير لأنك في موقعة نجد نفساً مطمئة إلى شيء ثم إن ظمأها ظمأ لا يروي أو يستبعد ربه⁽¹⁸⁾

أسلوب التمني في صحيح مسلم:

وردت أحاديث الشريعة بأسلوب التمني في صحيح مسلم، وما وقفت عليه من هذه الأحاديث قليلة جداً، وسأعرضها حسب الحروف التي جاءت عليها مبتدئاً بأشهرها الذي هو (ليت) ثم أزجيه ب (هل) و (لو) الذين كثر الكلام في إفادتها التمني.

التمني ب (ليت) - هذا الحرف هو الأصل في التمني. قد نص سيبويه على دلالاته على معنى التمني حيث قال (وليت تمن)⁽¹⁹⁾ ويرى بعض القدماء أنه لا يستعمل إلا في هذا المعنى حيث يقول إعلم أن (ليت) لم

تجىء في كلام العرب إلا حرف تمن" (20) ويستعمل في الممكن والمستحيل ولا يستعمل في الواجب. فلا يقال لبيت غدا يجيء (21)

هذا ولم يظفر التمني بشواهد كثيرة في أحاديث صحيح مسلم بل لم أجد على التمني ب لبيت التي هي أم الباب إلا مثالين. أولهما ما ترويه عائشة عن زوجها ﷺ قالت: أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال: " لبيت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة، قالت: وسمعنا صوت السلاح. فقال: من هذا؟ قال سعيد بن أبي وقاص: جئت يا رسول الله. قالت عائشة فنام ﷺ حتى سمعت عطيطه" (22)

يظهر لنا في هذا الحديث تمنى رسول الله ﷺ أمرا في أصله ممكن وقريب المنال وسهل المأتي وهو بغيته حراسته من قبيل أحد أصحابه. وهذا الأمر من باب أخذ الحيطة والأخذ بالأسباب ولا يناقني التوكل الذي هو من ركائز العبادة التي عرف لها ﷺ وقد كان هذا الموقف أي سعيه ﷺ للإحتراس من العدو والأخذ بالحزم وترك الإهمال وموضع الحاجة إلى الإحتياط – قبل نزول قوله تعالى: (والله يعصمك من الناس) (23) وترك الإحتراس وأمر أصحابه بالإنصراف. ونرى التشويق ب (لبيت) قد قوى لأن الخبر تأخر مجيئه حيث أنه ﷺ قد قيد اسم لبيت وهو (رجلا) بصفتين هما (صالحا) و(صحابي). وهذا القيد قد أحدث مسافة زمنية بين الاسم وخبره وخلال عبور هذه المسافة تتطلع النفوس إلى سماع ما هو المطلوب من هذا الرجل الذي تمناه ﷺ.

أما سبب توطيئه ﷺ (لبيت) لأمر ليس مستحيلا ولا بعيد المنال. كما هو الأصل في هذا الأسلوب – فقد يكون ذلك لأحد أمرين وكلاهما – الأول أنه ﷺ لم يأمر عائشة أن تبلغ أحد أصحابه بالقيام بما أراده، فمن هذا الوجه يكون مجيء الصحابي لحراسته من غير طلب منه أو تكليفه إياه أمر بعيد التحقق. وبهذا الإعتبار يكون التمني هنا جاريا على الكثير والأصل الذي يستعمل فيه. والوجه الثاني – هو طريف – إن قلب النبي صلى الله ﷺ قد تعلق بأمر الحراسة واهتم به حتى جعله من فرط اللهف والعناية شيئا مستحيل الوقوع وصعب المنال. ومن هنا يكون السبب من التمني هو حال المتكلم النفسية لا الأمر التمني من حيث هو: يقول محمد أبو موسى:-

المهم أن المعاني التي بعدها من باب التمني ذات طبيعة خاصة. فهي من المعاني التي تتعلق بها القلوب وتشتاقها سواء كانت بعيدة أو مستحيلة. ثم إن البعد فيها ربما لا يكون بعد بالنسبة للواقع أو العرف أو العقل. وإنما هو بعد من حيث إحساس النفس به. وتقول لبيتني أفعل كذا أو أقدر عليه أو لبيت لى ألقى فلان! فتقيد بذلك أنك تحس ببعد هذا الفعل أو هذه القدرة أو هذا اللقاء وقد يكون ذلك كله غير بعيد في واقع الأمر أو عند غيرك. ولكن شدة رغبتك أو همتك أنه مستبعد وهذه الحالة من أحوال النفس (24).

والشاهد الآخر في التمني ب (لبيت) ما جاء في حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صومه قال: فغضب رسول الله ﷺ فقال عمر رضي الله عنه. رضيينا بالله ربا وبمحمد رسولا وبيعنا ببيعه. قال فسئل عن صيام الدهر؟ فقال لا صام ولا أفطر – أو ما صام يوم أفطر - قال فسئل عن صوم يومين وإفطار يوما؟ وقال وهل يطيق ذلك قال: وسئل عن صوم يوم وإفطار يومين؟ قال: " لبيت أن الله قوانا لذلك" قال: وسئل عن صوم يوم وإفطار يوم، قال ذلك صيام أخى دود عليه السلام" قال: وسئل عن صوم يوم الإثنين قال ذلك يوم ولدت فيه. ويوم بيعت فيه. أو أنزل على فيه قال: فقال صوم ثلاثة من كل شهر، ورمضان إلى رمضان صوم الدهر" قال وسئل عن صوم يوم عرفة؟ قال يكفر السنة الماضية والباقية" قال وسئل عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: " يكفر السنة الماضية" (25)

يمثل هذا الحديث نموذجا جميلا من لين جانب رسول الله ﷺ وطول نفسه بالتجاوب مع المدعويين والحرص على أداء البلاغ المبين الذي أنيط به. فالنبي قد طرحت عليه هنا أسئلة سبعة. وما رأينا صلى الله عليه وسلم مضايقا من الموقف ولا يحاول التهرب على الإجابة عن كل ما سئل. ولا شك أن غضبه في أول سؤال وجه إليه لمصلحة أو حكمة يريد بها للمسلمين من عدم إجابته. ولعل تلك المصلحة تمكن في ألا يتعمد قوم إلى أن يصوموا كل الصيام الذي كان يصومه. وهذا قد يؤدي إلى الحرج والتكلف. وما جعل ربنا في

الدين من حرج. أو يكون سبب غير ما ذكرنا لمصلحة التي اقتضت عدم إجابته. أما ما عدا ذلك من الأسئلة فقد أجاب عنه وأبلغ في ذلك أيما إبلاغ.

فمن إجابته علمنا ﷺ أن صيام الدهر ليس بصوم، وإن صيام يومين وإفطار يوم مما لا يطاق على الإستمرار. وأن عكسه مما يتمنى للإنسان القيام به. وأن صوم يوم وإفطار يوم صوم نبي الله ﷺ. وعلل لنا سبب إختياره يوم الإثنين للصوم فيه. وذكر الفضيلة التي يكون في مداومة رمضان وصيام ثلاثة أيام من كل شهر إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة التي يحفل بها هذا الحديث. وكان كل ذلك عبر الحوار العلمي الذي جرى به ﷺ وطائفة من أصحابه الكرام.

هذا وشاهدنا من الحديث قوله (ليت أن الله قوانا لذلك) وذلك حيث تمنى صلى الله عليه وسلم أن الله قوي المسلمين على صيام يوم وإفطار يومين. فسماع ليت يدعوهم إلى الإصغاء التام وحسن المتابعة لأنهم – بعد أن عرفوا أن هذا الحرف موضع للتمنى – يتشوقون إلى معرفة ما يتمناه ﷺ وأن النبي حينما أجاب هذا السؤال بأسلوب التمني ليومىء بذلك إلى معرفته بالطبيعة البشرية. وذلك أن الإنسان وإن كان قوي العزم نافذ الإرادة في الطاعة. فإن تكليف الجسم أكثر مما تحمله طبيعته وتستطيعه قدرته لمؤد إلى الحرج الذي ينافي مع روح سماحة الإسلام. ولذلك فإن التمني في هذا الحديث وإن لم يكن مستحيلاً فهو بعيد المنال.

وإذا تبين هذه الحقيقة ظهرت لنا آية الجمال وعنوان البلاغة اللذان تباوأى مقدمهما في هذين الحديثين الشريفين. ومن ثم عرفنا غاية المناسبة التي من أجلها ساق النبي ﷺ كلامه على هذا الأسلوب المتميز هنا.

التمنى بـ (لو)

التمنى بـ (لو) الأصل الذي عليه أكثر كلام العرب في (لو) أن تكون شرطية وقد سبق بيان معنى لو الشرطية ومع هذا فقد يتمنى بها على وجه التوسع وذلك يكون ومواضع تقدر فيها بـ (ليت) أو مافي معناها يقول السكاكي إذا قلت لو يأتيني زيد فيحدثني بالنصب طالبا لحصول الوقوع فيما يفيد (لو) من تقدير غير الواقع واقعا، ولد التمني⁽²⁶⁾ وأما ابن هشام فيقول في معرض تعديده لمعاني (لو) أن تكون للتمنى نحو: لو تآتيني فحدثني. قيل ومنه فلو أن لنا كرة⁽²⁷⁾ أي قليت لنا كرة، ولذلك نصب (فنكون) في جوابها كما انتصب (فأفوز) في جواب ليت في ياليتنى كنت معهم فأفوز⁽²⁸⁾ وفي المعنى نفسه يقول أحد البلاغيين "لو التمنية هي لو الشرطية إلا أنها أشربت معنى التمني⁽²⁹⁾. وحينئذ فلا بد لها من جواب لكنه الإلتزم حذفه، وعليه فإذا قيل: لو تآتيني فحدثني. فالمعنى لو حصل ما يتمنى وهو الإتيان فالتحديث لسرنا ذلك⁽³⁰⁾. والخلاصة أن التمني بلو يجهل التمني مستحيلاً في غالب استعمالاته وشاهد ذلك أن مقاله تعالى حكاية عن أهل النار يوم القيامة" فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين"⁽³¹⁾ في شيء لا يمكن حصوله. إذ ليس من سنة الله الكونية إعادة عبد قد عاش وتوفي إلى الدنيا ليحيى حياة جديدة. إذ فمن المستحيل أن يعيدهم الله إلى الدنيا مرة أخرى يكونوا مؤمنين كما تمنوا.

هذا وقد ورد التمني بـ (لو) في عدة أحاديث. فمنها ما رواه بن عمر رضى الله عنهما. قال: كان الرجل في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصها إلى رسول الله ﷺ قال: وكنت غلاماً شاباً عزبا وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين أخذنا فذهبوا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطى البئر. وإذا لها قرنان كقرني البئر. وإذا فيها أناس قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار! أعوذ بالله من النار!! قال فلقبها ملك قال لي لم ترع، فقصصتها على حفصة فقصصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلى من الليل"⁽³²⁾

لهذا الحديث مناسبة طويلة رهيبة وهي رؤيا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما. وفيه رأى ما رأى في المنام. والذي يعيننا هنا هو قوله ﷺ بعد سماعه قصة الرؤيا من في زوجته حفصة رضى الله عنها. وذلك حيث استمال إلى حديثه المكون من جملتين بأسلوبين جاذبين. فكانت في كل جملة إثارة وتهيج

والأولى نعم الرجل عبدالله، وفيه يطمئن ﷺ عبدالله أن لا يخاف مما يرى ولا يحزن. والإثبات أنه من أهل الجنة لا يمسه النار أنشأ هذه الجملة على أسلوب بالمدح وكلمة (نعم) لافتة الانتباه لأن معناها مطلق المدح فيسربها فبدل قلقة شوقا وسرورا، يشناق لسماع تنمة الكلام.

أما الجملة الثانية من الحديث – وهي محل شاهدنا هنا فهي قوله ﷺ "لو كان يصلى من الليل" فقد تمنى ﷺ لهذا الصحابي أن يقوم طرفا من الليل لعبادة ربه وسؤال مولاه. والذي يظهر أن (لو) هنا تصلح أن تكون تحضيضية ذلك إذا حملنا المعنى أن النبي ﷺ يحث عبدالله على التهجيد موكلا له هذا الحث على ما سبق من تحديد معنى التحضيض وفي المعنى الثاني أحب النبي ﷺ التزام الصحابي بقيام الليل. يقول ابن حجر قوله (لو كان) لو للتمنى لا للشرط. ولذلك لم يذكر الجواب. وفي الحديث أن قيام الليل يدفع العذاب، وفيه تمنى الخير والعلم" (33)

ومما سبق اتضح لنا أنه ﷺ قد هيج المتلقين بهذا الحرف حيث يترقبون ما سيلقيه عليهم. ونظير هذا ما رواه أنس رضي الله عنه قال: واصل رسول الله ﷺ في أول شهر رمضان فواصل أناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال: "لو مد لنا شهر لو اواصلت وصالا يدع المتعمقون تعمقهم. إنكم لستم مثلي – أو قال - إنى لست مثلكم. إنى أظل يطعمنى ربي ويسقيني" (34)

والشاهد من الحديث تمنيه ﷺ تمديد شهر رمضان حتى يواصل وصالا فلا يستطيع أولئك المنتظعون أن يواصلوا معه. وإن الرسول ﷺ وإن كان بشر له بعض خصوصيات تخصه. والأمر الذي تمناه ﷺ لا يمكن حصوله فالتمني إذا مستحيل. وقوله ﷺ (لو مد لنا شهر) سيشرّف إلى سماع ما أراد أن يرتبه صلى الله عليه وسلم على هذه الفرضية. فهو بالنسبة إليه أمر مهم ينبغي وعيه ويدير في خلد. ولو لم يكن في الأهمية بمكان لم يحصل من أجله التمني الذي صدر منه.

ومنه ما رواه أبو موسى الأشعري أنه صلى الله عليه وسلم قال له: "لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة! لقد أوتيت مزارا من مزامير آل داود" (35)

يزجى النبي ﷺ على أحد الصحابة ثناء عطرًا والصحابي الحائز على هذا الثناء هو أبو موسى الأشعري وذلك لما رزقه الله من حسن صوت وجمال أداء تلاوة كتاب الله تعالى وقد أخبره صلى الله عليه وسلم أنه استمع إلى قراءته الليلة ومدحه على ذلك، والشاهد من هذا الحديث أن (لو) قد استعملها صلى الله عليه وسلم للتمنى وذلك أن رؤية أبي موسى له في وقت مضى لم يحصل بعد ومستحيل ومحبه صلى الله عليه وسلم حصول ذلك لامطمع فيه من حيث الحقيقة، لفوات ما قد مضى.

التمنى بـ (هل)

أما هل، فهي هل الإستفهامية التي أخرجتها بعض القرائن عن المعنى الذي وضعت له أولا لتدل على التمني. وقد اشتهر قوله تعالى حكاية عن الكفار شاهدا تتناقله الكتب في ذلك، وذلك حيث يقول جل وعلا: "فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل" (36)

فكل من جملة (فهل لنا من شفعاء) وجملة (أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) من قبيل التمني. والأمر الذي تمناه الكفار أمر محبوب ولكن لامطمع لهم في الحصول عليه. يقول السكاكي: "إذا قلت هل لي من شفعاء؟ في مقام لا يسع إمكان التصديق بوجود الشفعاء إمتنع إجراء الإستفهام على أصله، وولد بمعونة قرائن الأحوال التمني" (37)

ولماذا العدول عن (ليت) التي هي الأصل في إفادة التمني – فيستعمل (هل) لهذا المعنى في مثل هذه المقامات - السرفي العدول عن (ليت) التي هي الأصل في التمني إلى (هل) في نحو هذا الكلام إبراز التمني في صورة المستفهم عنه الذي لا جزم لإنتفائه، لإظهار كمال العناية به حتى لا يستطيع الإتيان به إلا بصورة الممكن الذي يطمع في قوعه. ووجه كونه من الإعتبار المناسب للمقام أن أصل التمني إظهار الرغبة في الفانت مضيا أو استقبالا إما لمجرد الإعتذار والإستعطاف للمخاطب ليرحم التمني. وإما لمجرد

موافقة خاطر والترويح على النفس. والوجه المذكور أبلغ في هذا الإظهار. فإذا اقتضى المقام الأبلغية لأحد هذين الوجهين مثلا عدل عن أصل التمني إلى صورة الإستفهام إظهار للزيادة كمال العناية⁽³⁸⁾ وقد جاءت (هل) نادر للتمني في صحيح مسلم. والحديث الذي تلبس فيه (هل) معنى التمني هو ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: "دخل على رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود. وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور. قالت: فارتاع رسول الله ﷺ وقال: "إنما تفتن اليهود" قالت عائشة: فلبتنا ليلالي ثم قال رسول الله ﷺ: "هل شعرت أنه أوحى إلى أنكم تفتنون في القبور؟". قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ بعد يستعيز من عذاب القبر⁽³⁹⁾

ليس بخاف أن اليهود خونة حقدة. وليس بخاف أنهم ساعون بجد -من قديم الزمان إلى يومنا هذا - فيما يسوء المسلمين ويخرجهم. فلا غرو إذا أن يرد النبي ﷺ على المرأة اليهودية أنهم هم المفتونون المعذبون في القبور لا نحن المسلمون. ثم تستلزم عدالته وأمانته ﷺ أن يستدرك ما قد أفتى به بعدما أنزل إليه الوحي على خلافه. فينادى أم المؤمنين ويقول لها: ليتك عرفت أن الوحي على خلاف ما قد قلته أنفاً، وإنكم - معاشر أمتي - تفتنون في القبور وبلسان حاله يرشدها - ويرشد جميع أتباعه - التعوذ من عذاب القبر وذلك تأسياً بما يفعله هو نفسه ﷺ.

ومعروف أن عائشة رضي الله عنها لاسبيل لها إلى معرفة الوحي الذي أنزله الله تعالى على مصطفاه إلا إذا أخبرها الموحى إليه. وبين من هذا الأمر أن هذه الجملة ليست على حقيقتها إذ أن (هل) هنا ليست استفهامية، وإنما هي تمنية.

العرض:

عن عوف بن مالك قال كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال ألا تبايعون رسول الله؟ وكنا حديث عهد ببيعته. فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله؟ قال فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك قال: "على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً. والصلوات الخمس وتطبعوا - وأسر كلمة خفية - ولا تسألوا الناس شيئاً لقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحد يناوله إياه"⁽⁴⁰⁾

عن أنس أن نفراً من عكل ثمانية. قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام فاستوحوا الأرض. وسقمت أجسامهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من أبوها وألبانها؟ قالوا بلى: فخرجوا فشرّبوا من أبوها وألبانها فصحا⁽⁴¹⁾ وعن جابر بن عبد الله قال كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فأنتهينا إلى مشرعة. قال: "ألا تشرع يا جابر" قلت بلى قال فنزل رسول الله ﷺ وأشرعت قال ثم ذهب لحاجته، ووضعت له وضوءه.⁽⁴²⁾ وعن جابر قال: جاء رجل يقال له أبو حميد بقدر من لبن من النقيع فقال له ﷺ ألا حمرت له لو تعرض عليه عود⁽⁴³⁾

وعن حذيفة اليمان قال لقد رأيتنا معه ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقر. فقال رسول الله ﷺ ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة... الخ⁽⁴⁴⁾ عن جابر بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها" فقلنا يا رسول الله كيف تصف الملائكة عبد ربها قال يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف"⁽⁴⁵⁾ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ألا رجل يمنح أهل بيت ناقة تعدوا تعس، وتروح بعس. وأن أجره العظيم.⁽⁴⁶⁾

المراجع:

- القرآن الكريم
- ابن مالك – شرح ابن عقيل دار العلم لبنان – سنة 1984 م.
- ابن هشام – مغنى اللبيب عن كتب الأعراب – دار العلوم بيروت – سنة 1979 م.
- ابن يعقوب – محمد بكرى – مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح للخطيب القزويني - دار الكتب العلمية – 1994 م.
- أبوبكر محمد بن القاسم الأنباري – شرح قصائد الطوال السبع بتحقيق عبد السلام هارون – دار المعارف – 1989 م.
- أبو عبد الله البخاري – صحيح البخاري تخريج وضبط صدقي جميل العطار – دار الفكر، بيروت لبنان – ط1421 – 1 م/2000 م.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي - مفتاح العلوم - تحقيق عبد الحميد هندواي، دار الكتب بيروت 2000 م.
- النووي، محي الدين يحيى بن شرف، - صحيح مسلم بشرح النووي - دار الفكر.
- أبو موسى محمد محمد) الدكتور – (دلالات التراكيب – مكتبة وهبة القاهرة ط1408 2 هـ/1998 م.
- أحمد عبد النور الملقى – وصف المباني في شرح حروف المعاني – دار الفكر بيروت – سنة 1996 م.
- سعد الدين التفتازاني – المطول على التلخيص – مطبعة أحمد كامل – إسطنبول – سنة 1330 هـ.
- عمرو بن قنبر سيبويه – كتاب سيبويه – دار الكتب بيروت لبنان ط1411 – 3 هـ/1991 م.
- فضل حسن عباس – البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها – دار الفرقان عمان ط1409 - 2 هـ/1989 م الهوامش:

- ¹ أبو القاسم الطبري – معجم الوسيط بتحقيق طارق بن عوض الله و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني 889 دار الحرمين القاهرة – 1415 هـ
- ² سعد الدين التفتازاني – مختصر تلخيص المفتاح للخطيب القزوين – ج 1 ص 239 مطبعة أحمد كامل سنة 1330 هـ
- ³ ابن يعقوب الخطيب القزويني – مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح – ج 20 ص 239 دار كتب العلمية سنة 1994 م.
- ⁴ التفتازاني – المطول 408
- ⁵ فضل عباس (الدكتور) – البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها 251/1
- ⁶ السكاكي – مفتاح العلوم 303
- ⁷ المرجع السابق 238.
- ⁸ محمد أبو موسى – دلالات التراكيب 199
- ⁹ سورة يس الآية 26-27
- ¹⁰ صحيح البخاري كتاب الوحي – رقم 1
- ¹¹ سورة الشورى الآية 44
- ¹² سورة الإسراء الآية 102
- ¹³ أبوبكر محمد بن القاسم الأنباري – شرح قصائد الطوال السبع – تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف سنة 1981 م.
- ¹⁴ سورة يونس الآية 98

- 15 سزرة الحجر الآية 7
- 16 القصص الآية 31
- 17 ابن مالك – شرح ابن عقيل ج 1/148 دار العلم، لبنان.
- 18 المرجع السابق ص 195
- 19 سيوييه – الكتاب 4/233
- 20 أحمد عبد النور المالقي – وصف المباني في شرح حروف المعاني 366 دار الفكر بيروت – 1996م.
- 21 المرجع السابق ص 390
- 22 صحيح مسلم 177/15 كتاب فضائل الصحابة الحديث 6180
- 23 سورة المائدة 67.
- 24 محمد أبو موسى دلالات التراكيب – ص 198
- 25 صحيح مسلم 292/80-293 كتاب الصيام الحديث 2739.
- 26 السكاكي – مفتاح العلوم 304.
- 27 سورة الشعراء الآية 102
- 28 سورة النساء الآية 72
- 29 ابن هشام – المغني اللبيب عن كتب الأعراب 1/266
- 30 حاشية الدسوقي على شرح السعد التفتازاني (شروط التلخيص) 2/241.
- 31 سورة الشعراء الآية 102.
- 32 صحيح مسلم 206/16 كتاب فضائل الصحابة الحديث 632.
- 33 النووي شرح صحيح مسلم 3/280
- 34 صحيح مسلم 215/7 كتاب الصيام الحديث 2566.
- 35 صحيح مسلم 321/6 كتاب صلاة المسافرين، الحديث 1849.
- 36 سورة الأعراف الآية 53
- 37 السكاكي – مفتاح العلوم 304.
- 38 مواهب الفتاح (شروح اللخيص) 2/240.
- 39 صحيح مسلم 87/5 كتاب المساجد ومواضع الصلاة الحديث 1319.
- 40 صحيح مسلم 133/7 كتاب الزكاة الحديث 240.
- 41 صحيح مسلم 295/11 كتاب القسامة والمحاربيين والقصاص والدية الحديث 4330.
- 42 صحيح مسلم 295/6 كتاب صلاة المسافرين وقصرها الحديث 1802.
- 43 صحيح مسلم 183/13 كتاب الأشربة، الحديث 5213.
- 44 صحيح مسلم 357-356/12 كتاب الجهاد والسير الحديث 4616.
- 45 صحيح مسلم 373/4 كتاب الصلاة الحديث 967
- 46 صحيح مسلم 108/7 كتاب الزكاة 2354.